الفصل الرابع

حاجة المجتمع للاصلاح وتعديل الانحرافات

يتضح من الفصول السابقة ان المجتمع الجاهلى فى مكة ام القرى بوجه خاص والمجتمع العالمى ومن ورائة الدول الكبرى كالفرس والروم واتباعهم من الاحباش والهنود وغيرهم بوجه عام ؛ كانوا فى حاجة الى تهذيب النفس واذكاء العقل واستبصار القلب بكلمات من عند الله تغذى الروح البشرية التى سيطرت عليها المادة والشهوة والهوى ، وتنير العقل الذى انحرف عن الطريق القويم فغرق فى بحر من الضلالة والظلمات فألقت به ماؤه على شاطىء الانحراف والفساد .

ولما كان العرب فى مكة قوم اميين ليس لهم كتاب سماوى يدرسون فيه ويتعلمون منه بعد ما ضاعت صحف ابراهيم عليه السلام فقد بعث الله رسولا منهم هو النبى الأمى محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن الكريم ليعلم قومه ويذكيهم ويتلو عليهم آيات الكتاب المجيد ليخرجهم من الظلمات الى النور ومن الوثنية الى التوحيد بالله عز وجل شأنه .

ولما كان العرب فى الجاهلية وخاصة فى مكة فى حاجة الى كتاب سماوى يتعلمون فيه فلماذا انزل الله عليهم القرآن وقد كان هناك كتب سماوية سابقة على القرآن ومتوفرة فى الجزيرة العربية وخاصة فى شمالها وجنوبها بل وفى دول العالم اجمع التى دانت باليهودية او المسيحية وهى كتب التوراة والانجيل ؟ وكان الاحبار والرهبان فى المدن المجاورة بمكة يعلمون الناس ويبشرون بالدين ولهم نظام تربوى مدروس .

هل جاء القرآن الكريم بأفكار وقيم تربوية ومبادىء سماوية وعقيدة الهية لم تكن موجودة فى الكتب السماوية الأخرى كالتوراة والانجيل ؟ .

أن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أجابة صريحة وواضحة على مثل هذه التساؤلات ، فقد بين القرآن فيما اشتمل عليه من آيات وحكمة وموعظة

حسنة وحجة وبرهان سماوى أن القرآن قد نزل من عند الله وذلك لسببين رئيسيين :

أولا : السبب الاول : وهو نزول القرآن لتعديل الفكر والعقل فى المجتمع الجاهلى فى مكة وذلك بتحويلهم من الوثنية الى التوحيد بهدف اعادة البناء الاجتماعى على أسس عقلية وعملية سليمة .

ثانيا : السبب الثانى : نزل القرآن من أجل العرب الذين تعلموا وتربوا على نظام تربوى يهودى أو نصرانى بوجه خاص وغير العرب من اليهود والنصارى فى العالم أجمع بوجه عام ليبين لهم أكثر الذى هم فيه يختلفون فى عقيدتهم الدينية .

وسوف نتحدث عن كل سبب من هذه الاسباب بشىء من التفصيل :

اولا : نزول القرآن لتحويل المجتمع العربى الوثنى الى التوحيد :

ان الدعوة الى التوحيد قديمة منذ الازل ، فالتوحيد هو أساس كل دين نزل على كل رسول ، ويقرر الاسلام أن التوحيد هو دين الفطرة ، ويقول محمد صلى الله عليه وسلم :

« ديننا واحد وشرائعنا مختلفة » ..

فالدعوة الى التوحيد بالله هو أول صوت عقيدى يدوى فى دنيا البشر ؛ اذ اخذ الله على الادميين جميعا عهد الاعتراف بربوبيته والايمان بألوهيته والامر بعبادته منذ مجىء آدم عليه السلام قال تعالى :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون » (١) .

وعندما نسيت الانسانية فى كل عصر تعاليم الحق ومفاهيم السماء انتابت عاطفتها الدينية انحرافات تمكنت منها أوهام وخرافات فتظهر الوثنية برأسها وتنفث سمومها وتنشر عروشها فى أرض الايمان ، فينزل

---

(١) سورة الانبياء : آية ٢٥ .

الله رحمته على البشر ببعثه رسول أو نبى يذكر الناس بتعاليم السماء ويصحح لهم عقيدتهم التى فسدت .

ويعنى هذا أن تيار الوثنية والمادية والشرك كان يتأرجح على مر العصور بين المد والجزر ، بين الاطواء والانطواء ، يخبو كلما ظهر فى دنيا الناس رسول يدعو الى دين الله أو نبى يجدد دعوة التوحيد فى النفوس ، أو داعية يأخذ بيد الناس الى حظيرة الايمان .

وقد أتى على الوثنية حين من الدهر كان صوتها يدوى فى آفاق عدة .

— فى مصر القديمة كان فرعون يزار « أنا ربكم الاعلى » (١) .
ويخر ذو العقل للعجل (العجل ابيس) تقديسا واستسلاما ، فبعث الله له موسى يدعوه الى الله .

— وفى فارس تطاولت ألسنة اللهب التى كان يدور حولها عبدة النار ويخرون للاذقان ساجدين صاغرين فارسل الله لهم نبيهم زراد شت .

— وفى اليونان وروما وبابل والصين والهند ضربت الوثنية جرانها على تلك المناطق العالمية فى احايين متفاوتة .

غير أن الباحث المدقق وان كان لا يستطيع ان يحدد فى ثقة ويقين تاريخ بدء الوثنية العالمية ومسارها ومتى نشأت وكيف انتشرت وفى اى المناطق هشت أو عزت ، الا أننا نعرض فى هذا المجال بعض آراء الاقدمين من الباحثين فى هذا الصدد :

يقول ابو المنذر هشام بن السنائب الكلبى فى كتابة « الاصنام » :

« أول ما عبدت الاصنام : ان آدم عليه السلام ، لما مات جعله بنو « شيث » ابن آدم فى مغارة فى الجبل الذى هبط عليه آدم بأرض الهند .... وكان بنو شيث يأتون جسد آدم فى المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه . فقال رجل من بنى « قابيل » بن آدم : « يابنى قابيل ، ان لبنى شيث

---

(١) أنظر سورة النازعات : آية ٢٤ .

دوارا يدورون حوله ويعظمونه ، وليس لكم شيء ، فنحت لهم صنما فكان اول من عمل الاصنام .

ثم قال ابو المنذر : كان « ود » « و » ســـواع و « يغوث » (و) « نسر » كانوا قوما صالحا ، ماتوا فى شـــهر ، فجزع عليهم ذوو أقاربهم ، فقال رجل من بنى قابيل :

« يا قوم ، هل لكم أن اعمل لكم خمسة أصنام على صورهم ؛ غـــير أنى لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا ؟ قالوا نعم فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم ، فكان الرجل يأتى أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ، ويسعى حوله ؛ حتى ذهب ذلك القرن الاول ، ثم جاء قرن آخر ، فعظموهم اشد من تعظم القرن الاول .

ثم جاء من بعدهم القرن الثالث ، فقالوا : ما عظم أولونا هؤلاء الا وهم يرجون شفاعتهم عند الله فعبدوهم وعظم أمرهم ، وأشـــتد كفرهم ، فبعث الله اليهم ادريس عليه السلام ، فدعاهم ، فكذبوه ، فرفعه الله اليه مكانا عليا ، ولم يزل امرهم يشتد حتى مجيء نوح عليه السلام ، فبعثـــه الله اليهم نبيا ، وهو يومئذ ابن أربعمائة وثمانين سنة ، فدعاهم الى الله فى نبوته مائة وعشرين سنة ، فعصوه وكذبوه ، قال تعالى :

« قال نوح : رب أنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ، ومكروا مكرا كبارا ، وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولايغوث ويعوق ونسرا »(١) فأمره الله أن يصنع الفلك ، ففرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة(٢) ، وغرق من غرق ، ومكث بعد ذلك ٣٥٠ سنة ، فعلا الطوفان وطبق الارض كلها ، وكان بين آدم ٢٢٠٠ سنة فأهبط ماء الطوفان هذه الاصنام بشده من جبـــل « نوذ » بالهند ... الى الارض وجعـل المـــاء يشتد جريه وعبابه من أرض الى أرض حتى قذفها الى أرض « جدة » ثم نضب المـــاء ، وبقيت على الشط ، فسفت الريح عليها حتى وارتهـــــا » .

---

(١) سورة نوح : آية ٢١ ـ ٢٣ .
(٢) لعله اعتمد على / ما ورد فى التوراة (سفر التكوين) من ان الطوفان ابتدأ فى السنة الاولى بعد ستمائة سنة من ولادة نوح عليه السلام .

تاريخ الوثنية العربية :

كان العـرب على دين ابراهيم ، واسماعيل ، وعلى دين من بعثـه الله فيهم من أنبياء ، لعاد ، ولثمود ولمدين .

فقد بعث الله هودا لعـاد ، وكانت ديارهم بالدور والدهناء (جنوبى الحجاز) ، وبعث صالحا لثمود ، وكانوا يسكنون بالحجر ، ووادى القرى (بين الحجاز والشـام) ، وبعث شعيبا لمدين (بأطراف الشـام مما يلى الحجاز) .

فكان العرب موحدين يؤمنون بدعوة التوحيد التى دعا اليهـا هؤلاء الانبياء وغيرهم فى البلدان العربية .

ويحدثنا أبو المنذر الكلبى عن نشأة الوثنية فى مكة فيقول :

« ان اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، لما سكن مكة ، وولد له بها أولاد كثير ، حتى ملأوا مكة ، ونفوا من كان بها من العماليق ضـاقت عليهم مكة ، ووقعت بينهم الحروب والعدوات ، وأخرج بعضهم بعضـا ، فتفسحوا فى البلاد .. وكان الذى سلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجـارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معـه حجرا من حجارة الحـرم تعظيما للحرم وصـبابه بمكة فحيثما حـلوا وضـعوه ، وطـافوا به كطوافهم للكعبة ، تيمنا منهم ، وصبابة بالحرم ، وحبا له » .

وهم بعد ، يعظمون الكعبة ومكـة ، ويحجون ، ويعتمرون على ارث ابراهيم واسماعيل ، ثم سلخ ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحبوا ، ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا الى ما كانت عليه الأمم من قبلهم ، وانتجثوا (استخرجوا) مـا كان يعبد قوم نوح منها على أرث ما بقى فيهم من ذكرها . وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتنسكون بها ؛ من : تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج ، والعمرة ، والوقوف على عرفة ، ومزدلفة ، واهداء البدن : والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه .

فكان أول من غير دين اسماعيل : فنصب الاوثان ، وسيب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وبحر البحيرة ، وحمى الحامية : « عمرو بن ربيعة » وهو:

لحى بن حارثة بن عامر الأزدى ، وهـو ابو خزاعة أى ــ سـيد « خزاعة » (وهو الذى قاتل جرهم حتى أخرجهم من حرم مكة ؛ واستولى عليها وتولى حجابة البيت) .

وكان الحارث هو الذى يلى أمر الكعبة ...

فلما بلغ عمرو بن لحى نازعه فى الولاية ، وقاتل جرهما ببنى اسماعيل، فظفر بهم ، واجلاهم عن الكعبة ، ونفاهم من البلاد وتولى حجابة البيت بعدهم ..

ثم انه مرض مرضا شديدا ، فقيل له : ان بلقاء من الشام حمة ان اتيتها برات ، فاتاها ، فاستحم بها ، فبـرأ ووجد اهلها يعبدون الاصـنام فقـال :

ما هذه ؟ فقالوا : نستقى بها المطر ، ونستنصر بها على العدو . فسألهم ان يعطوه منها ، ففعلوا ، فقدم بها مكة . ونصبها حول الكعبة » .

وتقول بعض الروايات (١) : « انه كان يستخدم الجن ، وكـان يكنى » أبا ثمامة « فقال له : عجل بالمصير والظعن من تهامة بالسـعد والسـلامة » .

قال : جير ، ولا اقامة .

قال : ايت ضف جدة ، تجد فيها اصناما معدة ، فأوردها تهـامة ولا تهاب (٢) وادع العرب الى عبادتها تجـاب .

فاتى شط جدة فاستثارها ، ثم حملها ، حتى ورد تهامة ، وحضر الحج ، فدعا العرب الى عبادتها » .

---

(١) ويرجع فيها الى كتاب الاصنام للكلبى ؛ والى ص ٧٥ من كتـاب أستاذ جواد على ، ج ٥ تاريخ العرب قبل الاسلام .

(٢) والاصح لغويا ان تكون « ولا تهب » لوقوعها مجزومة فى جواب امر ، وكذلك كلمة تجاب الاصو ب لغويا أن تكون « تجب » .

ويقول الاستاذ محمد الجارم :

« وأول من ادخلها (أى الأصنام والأوثان) الى مكة وما جاورها » عمرو بن لحى « سيد خزاعة ، وذلك ان « جرهما » كانوا قد طغـوا فى الحرم ، وظلموا ، واستحلوا منه امورا عظاما فأرسل الله اليهم « خزاعة » حين أجلاهم ـ سـيل العرم الذى حطم سـد مأرب من بلادهم ، فطردوا « جرهما » منه وقتلوا من قتلوا منهم ، فشفى ذلك صدور أهل الحـرم ، وفرحوا بانتصار خزاعة على جرهم .

وربما ظنوا ان الله قد ارسلهم اليهم ليخلص اهل حرمه من ظلمهم .

وكان رئيس خزاعة « عمرو بن لحى » فتولى سدانة البيت ، ودانت له العرب ، واتخذوه « ربا » لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شريعة ..

وكان فوق ذلك قد ملكهم باحسانه فربما نحر فى الموسم عشرة آلاف بدنه ، وكسا عشرة آلاف حلة ، وكان يطعم الحجيج السويق .

فدعاهم لعبادة الاوثان ، وكانت نفوسهم مستعدة لعبادتها ، بمـا كانوا يعظمونه من حجارة الحرم ، فأجابوه »

ثم يمضى المؤلف قائلا :

« وقد نص الشهر ستانى فى « الملل والنحل » أن « عمرو بن لحى » وضع الاصنام فى البيت فى أول ملك « سابور » ذى الاكتاف .

وتاريخ دخول الوثنية فى الحرم يرجع لتولى « عمرو بن لحى » الحرم حين نزوحه مع خزاعة وتغلبه على جرهم عام سيل العرم (١) وسيل العرم وقع قبل الاسلام بعدة قرون ، على أن الدكتور جواد يرى أن « عمرو بن لحى » قد عاش قبيل الاسلام ولا قبل السلام ، فهو يقول :

---

(١) قال حمزه الاصفهانى : ان هذا السيل قد حدث قبل الاسـلام باربعمائة سنة (فى القرن الثالث للميلاد) وقال ابن خلدون أن السد تهدم فى أيام حسان بن تبان (أى فى القرن الخامس الميلادى) .

ولست أظن أن الرواة قد اقتحموا اسم « عمرو بن لحى » فى قصة انتشار عبادة الاصنام فى جزيرة العرب اقحاما من غير اساس ، فلابد أن تكون للرجل صلة ما بعبادة الاوثان عند الجاهليين ، ولابد ان يكون من الرجال الذين عاشوا قبيل الاسلام ، لا قبل ذلك ، كما يدعى الاخباريون، فما كان خبره ليصل اليهم على هذا النحو لو كان زمنه بعيدا عنهم البعد الذى تصوروه .

وارى من وصف الاخباريين له انه كان حاكما ، وكان كاهنا ، والظاهر ان الحاكم الكاهن ثبت حكمه على مكة سياسيا ودينيا بسيطرته على السلطتين ، وقد اراد أن يمكن لحكمه فاستورد أصناما متقنة الصنع من الخارج ، اما من الشام عن طريق البلقاء ، واما من جدة عن طريق البحر ، فوضعها فى مكة فكان لصنعها المتقن ولمهارة الفنانين فى صنعها أثر فى نفوس المتدينين جعلهم يروون ذلك لمن جاء بعدهم ، فصارت القصص مبدأ لعبادة الاصنام عند العرب اجمعين . و « عمرو بن لحى » هو على اختلاف الروايات اول من غير دين اسماعيل ، فنصب الاصنام وذكر ان العرب جعلته « ربا » لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها « شرعة » .

ثم يقول فى الجزء السادس من كتابه السابق :

« ويذكر أهل الاخبار أن الجاهلين جميعا من قحطان وعدنان كانوا قبل عمرو بن لحى موحدين يعبدون الله جل جلاله وحده ، ولا يشركون به ولا ينتقصونه .

فلما جاء « عمرو بن لحى » افسد العرب ونشر بينهم اضاليل عبادة الأوثان بما تعلمه من وثنيى بلاد الشام حينما زارهم وحل بينهم فكان داعى الوثنية عند العرب ، والمبشر بها ومضللهم الاول ، وهو على رأيهم موزع الاصنام بين القبائل ومقسمها عليهم » .

فقد استورد الأصنام من بلاد عدة وزرعها فى ارض الجزيرة العربية .

فأقدم صنم — كما يقولون — « مناة » قدم به عمرو بن لحى من « البلقاء » من أرض الشام الى مكة ونصبه حول الكعبة .

و « هبل » قـــدم به عمرو من مأرب « فنصبه بمكة فى جوف الكعبـــة وأمر الناس بعبادته وجعل الصنم « يعوق » الها لقبيلة « همدان » وخصص الصنم « يغوث » لقبيلة « مذحج » ومن والاها ، ودعا ثقيفا لعبادة « العزى» (وكانت العزى ثلاث شجرات نخل) وفى الطائف دعا اهلها الى عبـــادة وتقديس الصخرة المربعة المسماة « اللات » .

قال ابن عباس رضى الله عنه : « ان رجلا ممن مضى كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن من الحاج اذا مر وبلت سويقهم ، وكان ذا غنم فسميت الصخرة « اللات » فلما فقده الناس قال لهم « عمرو بن لحى » : ان ربكم اللات قد دخل فى جوف الصخرة فاعبدوها .

ولم تكن عبادة الاصنام والاوثان لذاتها بل اعتبرها العرب فى الجاهلية واسطة بين الناس والاله الاكبر اى انها كانت وسيلة تقربهم الى الله كما جاء فى قوله تعالى :

« ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (١)

أو لانها تشفع لهم عند الله يوم القيامة . قال تعالى :

« ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقـولون هـــؤلاء شفعاؤنا عند الله » (٢) .

وقد نزل القران على « محمد صلى الله عليك وسلم النبى الامى ليعلم الاميين من مجتمع القرشيين فســـاد هـــذه العقيدة ويبين لهم ضرر الشرك بالله ، وقد خص القران الكريم هذه العقيده بعديد من الايات التى تعرضت لها وعرضت بها فى مواضع كثيرة فى سورة ابراهيم ونوح والأنبياء والبقرة وغيرها كما ناقش القرآن مفاهيمها واتجاهاتها ودحض كل فرية ، وابان فى النهاية العقيدة الحقة الفطرية عقيدة التوحيد والوحدانية فى قوله تعالى :

---

(١) سورة الزمر : آية ٣ .
(٢) سورة يونس : آية ١٨ .

« قل هو الله احد الله الصمد .. » (١) .

وقد حكم القرآن بادىء ذى بدء بأن الله لا يقبل الشرك ولا يغفره فى قوله تعالى :

« أن الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء .. » (٢)

ثانيا : نزول القرآن من أجل تصحيح الانحرافات والتحريفات الدينية والعلمية التى أبتدعها اليهود والنصارى فى التوراة والأنجيل . وليحكم الرسول عليه الصلاة والسلام بينهم فيما اختلفوا فيه فى عقيدتهم الدينية .

قال تعالى :

« إن هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ، إن ربك يقضى بينهم بحكمه .. » (٣).

١ — التحريفات اليهودية :

ان اليهودية دين سماوى مقدس واليهود اصحاب كتاب سماوى منزل من عند الله ، ويحدثنا التاريخ ان اليهود من سلالة يهوذا بن يعقوب بن ابراهيم عليه السلام ، وأن يعقوب كان يطلق عليه اسم « اسرائيل » لذا فاليهود يسمون باسم « بنى اسرائيل » .

ويقول أحمد الدمشقى « قال السلطان عماد الدين صاحب « حماة » فى تاريخه : واليهود اعم من بنى اسرائيل لأن كثيرا من أجناس العرب والروم وغيرهم قد دخلوا فى اليهودية وليسوا من بنى اسرائيل »(٤).

---

(١) سورة الاخلاص : آية ١ ، ٢ .
(٢) سورة النساء : آية ٤٨ .
(٣) سورة النمل : آية ٧٦ — ٧٨ .
(٤) احمد الدمشقى : وجيزة المقال فى بيان ملل الضلال ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ١١٦٣ هـ صفحة ١٨ .

ويحدثنا القـرآن الكريم ان الله سبحانه وتعالى أكرم اليهود وحباهم وخصهم بمزيد من النعم والتكريم وفضلهم على كثير من العالمين من أهـل زمانهم ، وارسل لهم رسـلا عديدين وانزل لهم التوراة على موسى ، ومن قبل انزل الزابور على داوود ، ومن بعد انزل لهم الانجيل على عيسى . وكلها كتب سماوية من عند الله فيها هدى ورحمة للمتقين .

قال تعـالى :

« يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين » (١) .

والتوراة الاصلية هى التى انزلت على موسى لتكون شريعة لبنى اسرائيل تلقاها رسالة من ربه على جبل طور سينا حيث كلمة الله تكليما ؛ وبعد هذه المناجاة الالهية حمل موسى عليه السلام الرسالة لتبليغها الى الناس وكتب التوراة ودون تعاليمها فى أسفار والواح لتكون هدى ونور يوجه الذين اسلموا لله وآمنوا به نبيا فيحكمون بها بين اليهود ، ثم لتكون كتابا تربويا ومنهجا تعليميا يلقنه الاحبار والربانيون الى الصغار الناشئة والشباب ويعلمونهم ما حفظوه ودرسوه فى كتاب الله .

قال تعالى :

« انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » (٢) .

والتوراة الاصلية التى انزلت على موسى عليه السلام لا شبهة ولا شائبة فيها فهى كتاب سماوى مقدس منزل من عند الله .

واشتملت التوراة على عديد من الأمثلة والحكم والمواعظ وحكم الكتب التاريخية المقدسة . واقوال البركات واللعنات والقوانين والتشريعات التى استنها الانبياء للبشر بعد أن اصطفاهم الله ووكلهم لذلك . كما تشتمل

---

(١) سورة البقرة : آية ١٢٢ .
(٢) سورة المائدة : آية ٤٤ .

ايضا على نظام حياة بنى اسرائيل وعاداتهم وتقاليدهم واغانيهم واناشيدهم فى مناسباتهم الدينية والدنيوية كتراتيل الحداد وأناشيد الحرب وهى كثيرة فى العهد القديم وفيها تترنم بنصر اسرائيل الذى اراده يهـــوه (الـرب) فى نهاية الحصاد وأغانى الطعام • كما اشتملت أيضا على نصوص علميـة وتاريخية تمثل خلق الكون والبشر وقصص الانبياء منذ آدم حتى يعقوب عليه السلام . اى ان التوراة كتاب سماوى للتراث اليهودى . يعـرض الحياة الدينية والحياة الاجتماعية للشعب اليهودى من خـلال مجموعة من النصوص تناولت أصل الكون حتى دخول الشـعب اليهودى أرض كنعان ، الارض الموعودة بعـــد خروجهم من مصر فى عهـــد فرعون وهامان وحتى موت موسى •

وقد انتقل هذا التراث اليهودى عن طريق الاسرة الى الابناء فى شكل روايات لتاريخ شعب الله المختار،كما انتقل ايضا بواسطة الاحبار والربانيون (اى المعلمون والعلماء الدينيون) عن طريق المعابد الكنسية التى كانت تعتبر فى ذلك الوقت المؤسسات التعليمية الوحيدة المسئولة عن تربية وتعليم الصغار ، بل وتوجيه الكبار .

وكان بنو اسرائيل فى عهد موسى عليه السـلام يحملون التوراة معهم فى حروبهم فى تابوت استبراكا بها . وعند ارتحال التابوت يقول موسى :

« قم يارب فليتبدد اعداؤك ويهرب مبغضوك من امامك » (١) .

وكان موسى يقدم التابوت فى مقدمة الحملة فتسكن نفوس بنى اسرائيل ولا يفرون •

وفى القرن الرابع قبل الميلاد وضع الاسرائيليون توراتهم فى تـابوت العهد وأخذوه معهم فى حروبهم التى كانت بينهم وبين الفلسطينيين بالقرب من غزة وذلك لتنالهم بركة التـوراة فيتحقق لهم النصر ، وكانت هـزيمة الاسرائيليين فى هذه الحرب هزيمة منكرة على يد الفلسطينيين الذين استولوا

---

(١) سفر العدد ، الاصحاح العاشر ، آية ٣٥ •

منهم على التابوت والتوراة التى بداخله . وكان حاكمهم وقتئذ هو «صمويل» النبى (١) .

وفى عهد ملكهم طالوت عاد اليهم بقية من التوراة الاصلية ولكن سرعان ما فقدوها فى حروبهم التى قادها « بختنصر » .

يقول الهندى فى كتابه « اظهار الحق » :

« يقول جان ملنر فى كتـــابه الذى طبع فى بلدة دربى عام ١٨٤٣ م : « اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الاصلية وكذا نسخ العهـــــد القديم ضاعت من ايدى عسكر بختنصر ، ولمـــا ظهرت نسختها الصحيحية التى كان قد نقلها وكتبها عـــــذرا (فى القـــرن الثالث ق ، م) ضـــاعت تلك النسخة أيضا فى حادثة « انتيوكس » (٢) .

وعن هذه الحادثة يقول الهندى رحمة الله :

« لمـــا فتح « انتيوكس » ملك ملوك الفرنج أورشليم احرق جميـــع نسخ كتب العهد القديم وأمر بقتل كل من يوجد عنده نسخة من كتب العهد القديم ، وكانت هذه الحادثة قبل ميلاد المسيح بأكثر من مائة سنة وهـــذه الحادثة مفصلة فى كتاب تاريخ اليهود ، وتاريخ اليهودى يوسيفس » (٣) .

« ان التوراة المشهورة ليست التوراة التى صنفها موسى ولا التى كتبها عزرا ، بل الحق انهـــا مجموع من الروايات والقصص المشتهرة بين اليهود ، جمعها احبارهم فى هذا المجموع بلا تنقيذ الروايات » (٤) .

ثم ، ساق ابن حزم فى كتابه « الفصل » فصلا جعل عنوانه :

« فصل فى مناقضات ظاهرة وأكاذيب واضـــحة فى الكتاب الذى يسميه اليهود التوراة » .

---

(١) عبد الوهاب النجار ـ قصص الانبياء ، المكتبة التجارية ص ٣٠٣ .
(٢) الهندى : اظهار الحق ، المطبعة العلمية ، ١٣١٥ هـ ، ص ١٣٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٠ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٣٥ .

وقد ساق فى هذا الفصل براهين عدة من نصوص توراتهم وأبـــان ما فى هذه النصوص من زيف واسفاف وكذب وافتراء . براهين على حـــد تعبيره « أضوء من الشمس على صحة تبديل توراتهم وتحريفها » (١)

ويحكم القرآن الكريم بأن التوراه المتداولة بين بنى اسرائيل وعامة اليهود ليست هى التوراة الاصلية ذات التعاليم السماوية والشريعة الربانية بل هى توراة من صنع البشر كتبوها بأيديهم ، كما يحدثنا فى عدد من الايات بأن اليهود خانوا العهد والميثاق ولم يبلغوا الرسالة الســماوية الى الناس بالحق وانحرفوا عن الطريق ؛ وحرفوا التوراة وبدلوا فى تعاليمها السماوية ، وتغالوا فى عدواتهم وصدوا عن دين اللـــه ولم يوفوا بعهده ، فكتب اللـــه عليهم التيه والتشريد وضرب عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من اللـــه الا قليل منهم .

قال تعالى :

« ولقد أخذ اللـــه ميثاق بنى اســـرائل وبعثنا منهم اثنا عشـــر نقيبا وقال الله أنى معكم ٠٠ » (٢) ٠

« الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيـــه ٠٠ » (٣) ٠

« فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعة ونسوا حظا مما ذكروا به » (٤) ٠

« قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس ، تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » (٥) ٠

---

(١) ابن حزم : الفصل ، الجزء الاول ، مطبعة صبيح ، ص ٣٥ ، ٩٣ .
(٢) سورة المـائدة : آية ١٢ ٠
(٣) سورة الاعراف : آية ١٦٩ ٠
(٤) سورة المـائدة : آية ١٣ ٠
(٥) سورة الانعام : آية ٩١ ٠

« ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بينـــاه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » (١) ٠

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند اللـــه ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون»(٢)

التوراة المتداولة بين اليهود كتبت من بعد موسى :

ان كتب اسفار موسى الخمسة وهى سفر التكوين ، وسفر اللاويين ، وسفر التثنية ، وسفر العدد ، وسفر الخروج كتبت من بعده على مـــدى عدة قرون ، وجمعت من أقوال موروثة وتراث منقول بشكل يقل او يزيـد حذقا ، كتبه محررون وضعوا تارة ما جمعوه جنبا الى جنب ، وتارة غيروا شكل الروايات بهـدف ايجاد وحـدة معرفية دينية مركبة للعقل امورا غـير منطقية واخرى متنافرة مع العلم الحديث كان من شأنهـا ان قادت المحدثين الى البحث الموضوعى عن المصادر التى اشتقت منها أسفار العهد الجديد .

وقد كرس بحاث القرن التاسع عشر الميلادى جهدهم فى بحث المصادر بدقة . وفى عام ١٨٥٤ م كانت هناك عدة مصادر استندت على نتـــائج الدراسات السابقة التى نشرها بحاث القرن الثامن عشر الميلادى .

فقد نشر « جان استروك » فى عام ١٧٥٣ م دراسة بعنوان « قرائن سفر التكوين » يحدد فيها تعدد المصادر وكان لديه من الشجاعة أن ينشر عن المذكرات الاصلية التى يبدو أن انصار موسى قد استخدموها لتحـــرير على الملأ ملاحظة أساسية وهى وجود نصين جنبا الى جنب فى سفر التكوين يحتوى كل منهما على خاصية مختلفة فى تسمية الرب ، اذ يسميه أحدهمـــا بـ « يهوه » ويسميه الثانى بـــ « الوهيم » .

ثم قام « ايخهورن » (١٧٨٠ — ١٧٨٣ م) فى دراســته بالوصـــول الى نفس الاكتشاف بالنسبة الى الاسفار الاربعة الاخرى .

---

(١) سورة البقرة : آية ١٥٩ ٠

(٢) سورة البقرة : آية ٧٩ ٠

ثم جاء « ايلجن » عام ١٧٩٨ م ولاحظ أن أحد النصين اللذين ميزهما ستروك وهو النص الذى يسمى فيه الرب بـ « الوهيم » ينقسم هو أيضا الى قسمين ، وبهذا تفتت تماما كتب أسفار موسى الخمسة .

أ ــ الوثيقة اليهودية : نسبة الى الرب « يهوه » وترجع الى القرن التاسع قبل الميلاد .

ب ــ الوثيقة الألوهيمية : وترجع الى القرن الثامن قبل الميلاد فى رأى « ادموند جاكوب » بينما يرى الاب « ديفو » مدير مدرسة الكتاب المقدس بالقدس ، انها تنتمى الى القرن السابع قبل الميلاد .

جـ ــ سفر التثنية : وترجع الى القرن الثامن قبل الميلاد فى رأى « ادموند جاكوب » بينما يرى الاب « ديفو » مدير مدرسة الكتاب المقدس بالقدس ، انها تنتمى الى القرن السابع قبل الميلاد .

د ــ النص الكهنوتى : وينتمى الى القرن السادس قبل الميلاد .

وبهذا فان تحرير أسفار موسى الخمسة قد تمت على مدى ثلاثة أو اربعة قرون ، والمتتبع لنصوص التوراة المتداولة بين اليهود اليوم لا يكاد يجد ذكر للروح ولا للروحانية ولا لليوم الاخر يوم البعث والحساب ، فليس أدل على تحريفها انها قد خلت او كادت من المعرفة بالحياة الاخرة ، والكتب السماوية جميعها من أهم ركائزها الدعوة الى التوحيد الالهى والايمان باليوم الاخر ، فاذا خلت التوراة من هذه الركائز فهى اذن ليست توراة الله بل هى من صنع الكتاب والكهنة والاحبار التى كتبوها بأيديهم من أجل السيطرة الدينية على شعبهم ويقولون لهم ان هذا من عند الله .

وبهذا فان ما جاء فى التوراة من عقيدة ناقصة ومحرفة وعلم مضلل وتاريخ مزور اكسب اليهود صفات رذيلة فوق صفاتهم الفطرية التى جبلوا عليها . والتى كتبها الله عليهم فاصبحوا فى حالة لا ينفعهم فيها كتابهم كما اصبحوا فى حاجة الى اعادة بناء نظام تربيتهم . فمن الله عليهم بنزول كتاب كريم هو القرآن المجيد والذكر الحكيم .

بعض مظاهر التحريف ودلائله فى أسفار اليهود فى العقيدة والتاريخ والعلم .

أولا — بعض مظاهر التحريف فى العقيدة :

١ — لقد انحرف التحريف بالاسرائيليين الى مهاوى الشرك بالله وتعدد الالهة فقرروا أن لهم الها خاصا بهم وللشعوب الاخرى آلهة اخرى ، وأن اله بنى اسرائيل ليس كبقية آلهة الشعوب ، وانهم اولاد الههم واحباؤه وقد الصقوا بالههم بعض الصفات جاء ذكرها فى احداث اسفار اليهود وهو سفر اللاويين حيث يذكر فى اكثر من موضع « ان الضحايا المحرقة (وهى التى تحرق اجسامها فى المذبح تحت

اشراف أحد اللاويين) يرتاح لها الاله ويفيد منها وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها ، وأنه يغضب كل الغضب اذا لم تقدم اليه هذه الضحايا فيصب حينئذ سوط عذابه على المقصرين فيرسل عليهم نارا تحرقهم » .

وسيطرت الحياة المادية على عقيدة اليهود قبل الاسلام واعتقدوا أنه ليس هناك بعث او حساب بل أن الحياة هى الحياة الدنيا فقط والانسان لا يبعث بعد الموت ، ولذا غرقوا فى الربا واكل أموال الناس بالباطل ورشوة الحكام والرؤساء والمسئولين ، كما عرفوا بالمكر والنفاق والخيانة وكتمان الحق ، وقول الزور ، والبخل وغيرها من الصفات التى ذكرها الله سبحانه وتعالى فى القرآن .

قال تعالى :

« قالت اليهود عزير ابن الله .. » (١) .

« وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر .. » (٢) .

« وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت » (٣) .

---

(١) سورة التوبة : آية ٣٠ .
(٢) سورة الجاثية : آية ٣٤ .
(٣) سورة النحل : آية ٣٨ .

« يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون » ٠

« ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » (١) ٠

« الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ٠٠ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ٠٠ » (٢) ٠

« اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ٠٠ وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون » (٣) ٠

« ٠٠ ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليهم » (٤) ٠

ب — يذكر الاصحاح الثالث من سفر التكوين عن قصة آدم وحواء . ان الاله كان يريد بقاءهما جاهلين حتى لا يشاركاه فى صفة من أخص صفاته ، وان الله استجوبهما واستنتج من استجوابهما انهما لابد أن يكونا قد أكلا من الشجرة وان الانسان أصبح بتلك الفطة قد اكتسب احد خصائص الاله لتمييزه بين الحسن والقبيح عندما بدت لهما سوءاتهما ، وأنه لابد من طرد آدم وزوجته من الجنة حتى لا تمتد يده الى شجرة اخرى هى شجرة الخلد فيكفل لنفسه البقاء والخلود وهو ارقى صفات الاله .

بينما ساق القرآن الكريم هذه القصة فى أكثر من موضع فى خمس

---

(١) سورة البقرة : آية ١٨٨ ٠
(٢) سورة النساء : آية ٣٧ ، ٣٨ ٠
(٣) سورة التوبة : آية ٣١ ٠
(٤) سورة التوبة : آية ٣٤ ٠

وعشرين آية من ثمار سور كلها آيات تدل على كمال الله وكمال علمه وتمام قدرته وتنزيهه عن كل ما يشوب ويشين .

ثانيا — بعض مظاهر الانحراف فى التاريخ :

أ — يزعم بعض اليهود أن هجرة اسرائيل (يعقوب) وأولاده الى أخيهم يوسف عليه السلام فى مصر تعد الهجرة الثانية بالنسبة للهجرات اليهودية . وقد استقر بنو اسرائيل بمصر منذ ذلك العهد قرابة ثلاثة قرون الى ان خرج بهم موسى عليه السلام الى صحراء سيناء .

أما الهجرة الاولى فهى التى قام بها ابراهيم عليه السلام عام ٢٠٠٠ ق. م. من بابل (العراق) الى ارض الشام ومصر ، معتبرين ان ابراهيم هو اساس اليهود وانه ابو الاسرائيليين .
والحق أن هذه الدعوى .. دعوى ابراهيم أب اليهودية ليست وليدة اليوم بل نادى بها اليهود من قبل فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وندد بها القرآن فى قوله تعالى :

« يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون .. ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » (١) .

ب — أن قصة الطوفان وسفينة نوح جاء ذكرها فى أسفار اليهود بحيث اعطى العهد القديم للطوفان طابعا عالميا حيث دمرت كارثة الطوفان الحياة على سطح الارض باستثناء ركاب سفينة نوح . ومن ناحية اخرى فقد حددت التوراة عمر نوح فى ذلك الوقت بـ ٦٠٠ عام وان الطوفان قد حدث بعد خلق آدم بحوالى ١٦٥٦ عاما أى أن نوحا قد ولد بعد آدم بـ ١٠٥٦ عاما وقد ذكرت هذه التواريخ فى الاصحاح الخامس من سفر التكوين . فى حين ان نفس المصدر وهو سفر التكوين قد ذكر فى موضع آخر أن ابراهم عليه السلام قد ولد بعد حادثة الطوفان بـ ٢٩٢ عاما

---

(١) سورة آل عمران : آية ٦٥ — ٦٧ .

وان ابراهيم كان يعيش فى عـــام ١٨٥٠ ق. م. ومعـــنى ذلك ان الطوفان قد حدث عام ٢٢٤٢ ق. م. وبذلك فان زمن الطوفان يتحدد باثنان وعشرين قرنا قبل ميلاد المسيح . وهكذا نجد اختلافات واضحة فى نصوص التوراة حول زمن حدوث الطوفان هذا من ناحية ، كمـــا أن رواية الطوفان فى العهد القديم غير مقبولة تاريخيـــا من ناحيـــة اخرى وذلك لانه لا يمكن تصور ان كارثة عالمية مثل حادثة الطوفان قد دمرت الحياة على كل سطح الارض باستثناء ركاب سفينة نـــوح فى القرن ٢٢ قبل ميلاد المسيح ؛ لأن فى ذلك العصر كانت هنـــاك فى مناطق عدة من الارض حضارات قد ازدهرت وانتقلت اطلالهـــا الى الاجيـــال التالية ، ففى مصر القديمة على سبيل المثال كانت تلـــك الفترة التى حدث فيها الطوفان هى عصر بداية الدولة الفرعونية فانه يكون من الزيف والخطأ أن تذكر كتب التـــوراة فى ســـفر التكوين بأن الطوفان قد دمر فى ذلك العصر كل الحضارات .

فبينما تتحدث التوراة عن طوفان عالمى لعقاب كل البشرية ، يشـــير القرآن على العكس الى أن العقوبة نزلت على قوم نـــوح الـــذين كذبوا به رسولا ليكونوا آية لغيرهم من الاقوام .

قال تعالى :

« وقوم نـــوح لمـــا كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للنـــــاس آية واعتدنا للظالمين عذابا اليما » (١) .

ثالثا : بعض مظاهر الانحراف فى العلم :

فى سفر التكوين توجد اكثر المتناقضات وضوحا مع العـــلم الالهى والعلم الحديث وتخفى هـــذه المتناقضات عدة نقاط جوهرية نذكر واحـــدة منهـــا وهى .

---

(١) سورة الفرقان : آية ٣٧ .

مراحـــل خـــلق العـــالم :

ان سفر التكوين يبدأ بروايتين عن خلق العالم كل منهما موضـــوعة الى جانب الاخرى :

الرواية الاولى : تأتى من النص الكهنوتى الذى كتبه الكهنة وهـــم الوريثون الروحيون للنبى حزقيال نبى النفى ببابل فى القـــرن الســـادس قبل الميلاد ، والمعروف ان هؤلاء الكهنة قد اعادوا روايتى الخـــلق اللتان جاء ذكرهما من قبل فى الوثيقة اليهودية التى كتبت فى القـــــرن العـــاشر والتاسع قبل الميلاد ، والوثيقة الالوهيمية ، واعادوا صياغتها عـــــلى مشيئتهم وحسب اهتماماتهم الخاصة . كما يقول الأب « ديفو » فى كتابه « ترجمة سفر التكوين » .

والرواية الثانية : رواية خلق العـــالم التى يحتوى عليها ســـــفر التكوين تلى الرواية الاولى دون انتقال او تعليقات على الرواية السالفة . وترجع هذه الرواية الى تاريخ أكثر قـدما من الرواية الأولى بحوالى ثلاثة قرون تلك هى الرواية اليهودية الموجودة من قبل فى نصوص كتب العهـــد القديم والتى يملكها اليهود اليوم .

وتذكر التوراة فى سفر التكوين ان العـــالم قد خلقه الرب فى ســـتة أيام يتبعها اليوم السابع وهو يوم الراحة يوم السبت .

وتحتل الرواية الاولى الاصحاح الأول ، والايات الأولى من الاصحاح الثانى . والنص الآتى هو نص ترجمة فرنسية قام به الأب « ديفو » مدير مدرسة الكتاب المقدس بالقدس لكتاب سفر لتكوين .

١ ــ الاصحاح الاول : الايتان ١ ، ٢ :

« فى البدء خلق الله السماء والأرض وكانت خربة وخالية والظلمات تغطى اللجة وروح الله يرف على المياه » .

٢ — الآيـات من ٣ — ٥ :

« ليكن نور فكان النـور ورأى الله أن النـور حسن ، وفصـل بين النور والظلمات ودعا الله النور نهارا والظلمات ليلا وكان مساء وكان صباح اليوم الأول » .

٣ — الآيات من ٦ — ٨ :

وقال الله :

« ليكن جلد فى وسط الميـاه وليكن فاصـل بين ميـاه ومياه ، وكان كذلك . سعمل الله الجلد وفصـل بين المياه التى تحت الجـلد والمياه التى فوق الجلد ، ودعا الله الجلد سماء ، وكان مساء وكان صباح اليوم الثانى » .

٤ — الآيات من ٩ — ١٣ :

وقال الله :

« لتجتمع المياه تحت السماء الى مكان واحد فى كتلة واحدة ولتظهـر اليابسـة ، وكان كذلك ، ودعا الله اليابسـة أرضا ، ومجتمـع المياه دعاه بحارا ورأى الله ذلك أنه حسن » .

وقال الله :

« لتنبت الارض خضرة عشبا يحمل بزرا كجنة ، وشـجرا يعطى ثمرا من جنسه وبزرا ، ورأى اللـه ذلك أنه حسن ، وكان مساء وكان صباح اليوم الثالث » .

٥ — الآيـات من ١٤ — ١٩ :

وقال الله :

« لتكن أنوار فى جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون علامات للاعياد كما للايام والسنين ، ولتكن أنوار فى جلد السماء لتضىء الارض . وكان كذلك ، وعمل الله المنيرين العظيمين : المنير الاكبر لحكم النهار والمنير الاصغر لحكم الليل ، والنجوم جعلها اللـه فى

السماء لتنير على لارض ولتحكم على النهار والليل ولتفصـــل بين النور والظلمة ؛ ورأى الله ذلك أنه حسن . وكان ليل وكان نهـار اليوم الرابع » .

٦ ــ الآيات من ٢٠ ــ ٢٢ :

وقال اللـــه :

« ولتعج المياه بعجيج الكائنات الحيـــة ولتطر طيور فـوق الارض وعلى وجه جلد السماء . وكان كذلك . وخلق الله كبار ثعابين البحر وكل الكائنات الحية التى تنزلق وتعج فى البحار ؛ كل بحسب جنسه وكل ذى جناح بحسب جنسه ، ورأى الله ذلك أنه حسن » .

وباركها اللـــه قائلا :

« اثمرى واكثرى واملئى البحـار وليتكاثر الطـير على الارض . وكان ليـل وكان نهار اليوم الخامس » .

٧ ــ الايـات من ٢٤ ــ ٣١ :

وقـال اللـــه :

« لتخرج الارض الكائنات الحية كجنسها بهـــائم ودابات ووحوش كجنسها . وكان كذلك . عمـل الله الوحوش كجنســـها والدابات كجنسها وكل دابات الارض كجنسها . ورأى الله ذلك انه حسن » .

وقال اللـــه :

وعلى طيور السماء وعلى البهائم وعلى كل الوحوش والدابات التى « لنعمل الانسان على صورتنا كشبهنا ، ويتسلطوا على سمك البحر تزحف على الارض » .

فخلق الله الانسان على صورته ذكر وانثى خلقهما . وباركهما اللـــه وقال لهمـــا :

« اثمرا واكثرا واملا الارض واخضعاها ، وسلطا على سمك البحار وطيور السماء وعلى كل حيوان يدب على الارض » .

وقال اللـــــــه :

« انى قد اعطيتكما كل بقل يحمـــل بزرا على وجه الارض وكل شجر فيه ثمر ويحمل بزرا لكما يكون طعاما ولكل الوحوش ولكل طيـــور السماء ولكل دابة على الارض وكائن حى ، اعطيت كل خضـــــرة النباتات طعاما . وكان كذلك ، ورأى الله كل ما عمـــله فاذا هـــو حسن جدا ، وكان مساء وكان صباح اليوم السادس .

وتنتهى رواية الخلق بالايات الثلاثة الاولى من الاصحاح الثـــانى التى تقول :

« فاكملت السموات والارض بكل جندها . وفرغ اللـــه فى اليـــوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح فى اليوم .

السابع من جميع عمله الذى عمل . وبارك الله اليوم الســـــابع وقدسه لانه فيه استراح من جميع عمـــله للخلق . هذه مبـــــادىء السموات والارض حين خلقت » .

ويعلق الأب ديفو فى ترجمته بقوله :

« ومن هنا جاء يوم الراحة عند اليهود يوم السبت » .

ويمكن القول أن أدراج مراحل الخلق المتعاقبة فى اطار أسبوع كما جاءت فى الوثيقة الكهنوتية أراد بهـا الكتبـــة الكهنة فى روايتهم حث الناس على الطاعة الدينية حيث قسموا رواية الخلق الى أيام سبعة توافق أيام الأسبوع وهم يضعون محور الرواية على راحة يوم السبت التى يعللوها مؤكدين للناس بقولهم أن الله هو أول من احترم الراحة يوم السبت . وهذا التحديد والتقسيم لمراحل خلق العالم لا يقبل الدفاع من وجهة النظر العلمية .

والنص الكهنوتى المكتوب بهذا الشكل يظل غير مقبول حيث أنه يناقض المعلومات العلمية الأصلية كما أنه يختلف من حيث أن النص اليهودى لا يشير الى اليوم السابع أو الى راحة الله الذى تعب من عمله طيلة الأسبوع .

ويختلف القرآن عن العهد القديم من حيث انه لا يقدم رواية كاملة فى سورة واحدة عن الخلق بل جاءت فى أماكن متعددة من سور القرآن آيات تذكر

فى كل سورة بعض جوانب رواية خلق السموات والأرض وما بينهما . ولابد من تجميع الآيات المتعددة فى عدد هام من السور حتى يمكن تكوين فكرة واضحة عن الطريقة التى سبقت بها هذه الاحداث .

ويدعى كثير من المؤلفين الأوروبيين أن رواية الخلق فى القرآن قريبة الى حد كبير من رواية التوراة ويحاولون تقديم الروايتين بالتوزاى فى كتبهم ليؤكدوا صحة قولهم .

وجدير بالذكر أن هذا مفهوم خاطىء لأن ما جاء فى القرآن عن خلق العالم يختلف اختلافا واضحا من وجهة النظر العلمية كما ان القرآن لا يحتوى على التفصيلات والمعالجات التفصيلية التى احتوى عليها التوراة .

واذا كان هناك تجانس ظاهر بين النصين فى القرآن والتوراة فاننا نجده فقط فى الوهلة الأولى فى ترقيم امتداد عملية الخلق والتى ذكرها القرآن بستة أيام ولكن دون تحديد زمنى واضح لهذه الايام أو ذكر لمعادلتها بأيام الأسبوع أو تحديد مراحلها .

أن كلمة يوم كما يفهم من التوراة تعرف المسافة الزمنية بين اشراقين متواليين للشمس أو غروبين متواليين لها وذلك هو تحديد معنى اليوم بالنسبة لسكان الأرض وواضح تماما أنه من المستحيل أن نتحدث عن الأيام التى خلق الله فيها العالم بهذا المعنى الذى يحدده التوراة لمفهوم اليوم .

قال تعالى فى سورة الاعراف آية ٥٤ :

« ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام » .

وفى آيات أخرى فى القرآن يبين الله أن كلمة يوم ليست هى اليوم الذى يعده البشر على الارض وانما يقدر اليوم عند الله بزمن مختلف تماما عما يقدره الناس .

قال الله تعالى فى سورة المعارج آية ٤ :

« ... فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » .

وفى سورة الحج آية ٤٧ قال تعالى :

« ... وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » .

وفى سورة السجدة آية ٥ قال تعالى :

« فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » .

ومعنى ذلك ان خلق العالم فى ستة أيام التى اشار لها القرآن الكريم والتى جاء ذكرها فى توراة العهد القديم يمكن أن تدل على فترة زمنية تختلف تماما عن تلك التى تعطيها لمعنى اليوم .

كما انه ليس فى القرآن أى تحديد بشكل قاطع او أى ترتيب يشير الى التوالى فى مراحل الخلق او الى مجرد وضع عنصر بجانب عنصر خلال عملية خلق العالم سوى ما جاء فى سورة النازعات أن خلق السموات والارض جاء أولا ثم قدر فيها ارزاقها بعد ذلك بخروج الماء والمرعى منها . وهو وصف عام دون تفصيل أو اطناب .

قال تعالى :

« أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والارض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها ، متاعا لكم ولأنعامكم » .

وفى سورة فصلت ذكر الله سبحانه وتعالى خلق العالم بقوله :

« قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات فى فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » .

وفى سورة الأنبياء يقدم القرآن ملخصا مختصرا للعناصر التى يتكون منها الكون بشكل عام ، قال تعالى :

« أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون » .

ومن المقارنة السابقة بين القرآن والتوراة فيما يخص خلق رب العالمين للكون يمكن أن نحدد مظاهر التحريف التى حدثت فى التوراة فيما يلى :

أولا : نستطيع أن نقبل تماما أن فى مرحلة ما قبل خلق السموات والارض كانت السماء والارض مظلمة ولم يخرج الله الشمس سراجا ينيرها الا فى مرحلة تالية لخلقهما ٠

اما الاشارة الى خلق المياه فى تلك المرحلة الأولى فهو امر لا يرقى الى الصحة كما جاء القول فى الآيتين الاولى والثانية من الاصحاح الأول ٠

ثانيا : أن النور الذى خلقه الله ليبدد الظلمات ويفصل بين النهار والليل فى اليوم الأول كما ذكرته الآيات رقم ٣ ـ ٥ فى الاصحاح الأول يخالف ما جاء فى الأية رقم ١٤ من الاصحاح الأول حيث ذكرت الآية الاخيرة أن المنيرة أن الشمس قد خلقت فى اليوم الرابع ٠

ثالثا : أن صورة انقسام المياه الى كتلتين يفصل بينهما سماء كما ذكر الاصحاح الأول فى الآيات ٦ ـ ٨ أمر غير مقبول ولم يذكر فى القرآن ٠

رابعا : أن اجتماع الماء تحت السماء فى مكان واحد هو الكرة الارضية ثم ظهور اليابسة أو القارات فى مرحلة تالية بعد أن كانت مغطاة بالماء فان ذلك مقبول علميا ، ولكن أن يكون هناك فى تلك الفترة عالم نباتى ينتظم بالتكاثر بالبذرة قبل ظهور الشمس (التى تظهر كما يقول سفر التكوين فى اليوم الرابع) كما جاء فى الآيات ٩ ـ ١٣ من الاصحاح الأول ، فذلك لا يمكن مطلقا قبوله منطقيا ٠

خامسا : ان خلق أنوار لتفصل بين النهار والليل ولتضىء الارض وتكون علامات للأيام والسنين كما جاء فى الآيات ١٤ ـ ١٩ من الاصحاح الأول وهو وصف مقبول ولكن لتكون علامات للاعياد أيضا كما ذكرت الآيات فان ذلك يدل على التحريف ٠

سادسا : يقول سفر التكوين فى الاصحاح الأول فى الآيات ٢٠ ـ ٢٣ بظهور اسماك البحر وطيور السماء أولا فى اليوم الخامس ٠ ثم يذكر فى

الآيات ٢٤ - ٣١ ظهـــور الحيوانات ودابات الارض من وحـوش وبهائم فى اليوم السادس وأن الرب خلق كل نوع من جنسه أى أن الاسماك خلقت من الماء والطيور خلقت من الهواء والحيوانات خلقت منالارض وفى هذا تقسيم غير مقبول للعناصر التى يتركب منها كـل جنس • فى حين ذكر القرآن أن من الماء يخلق كل شىء حى • كما ان خلق الانسان فى مرحلة اخيرة بعد المخلوقات جميعا أمر اثبته العـلم كما يؤيده ما جاء فى القرآن الكريم فى صورة البقرة • غير أن تحـديد شكل الانسان على صورة الله وشبهه فان هذا امر مرفوض ولاتقبله الأديان السماوية الصحيحة لأن الله سبحانه وتعالى لم يذكر شـكله ولم يحدد صورته الا بأنها نور والانسان ليس كهيئة النور وهـــذا تحريف وافتراء على الله •

٢ - التحريفات المسيحية :

قال تعالى :

« واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة •• » (١) •

لقد اختتم الله سبحانه وتعالى عهد النبوة فى بنى اسرائيل بظهور نبى منهم هو عيسى عليه السلام • ولا يذكر فى كتب التاريخ أو العـلم أو الدين شيئا عن طفولته ونشأته الا القليل وخاصة الفترة من سن الثانية عشر حتى سن الثلاثين وهو السن (٢) الذى بعثه فيه الله الى قومه من بنى اسرائيل • غير أن قصة ميلاده وقصة أمه مريم ابنة عمران عندما حملت فيه والبشـارة بمولده قد جاء ذكرها بالتفصـــيل فى القرآن الكريم • كما أشار القرآن الى الأنجيل ومعجزات المسيح والعلم والحكمة التى وهبها الله له ليكون نبيا يهدى القوم الظالمين ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيـــه فى تعاليم كتابهم الســابق « التـــوراة » •

---

(١) سورة الصف : آية ٦ •
(٢) أنجيل لوقا : الآيات ٣ ، ٢٣ ، ٢٨ •

وكان العصر الذى ولد فيه المسيح عيسى بن مريم قد تفشى فيه الظلم والفساد والمادية والتحريف فى العقيدة الالهية ونشر الكتب الدينية الموضوعة بيد البشر من الكتاب والاحبار والكهنة . ويقولون أنها كتب الله للتأثير بها على الناس والشعوب ابتغاء توجيههم الوجهة التى يرغب فيها حكامهم .

وفى عصر ميلاد المسيح ترقبت النفوس الصالحة بشائر الدعوة الالهية من كل جانب كما يترقب رجال الفلك رصد كوكبا حان موعد طلوعه . وقد تكاثر النذيرون قبيل مولد المسيح الذين نذروا انفسهم لصحبته لتخليص الناس من الانحراف العقلى والخلقى عن الطريق القويم اذ اقترب الموعد الذى كان منتظرا لبعثة المسيح الموعود ، وكان موعد نهاية الألف الرابعة من تاريخ الخليقة على حساب التقويم العبرى موعدا مقدورا فى عرف الاكثرين من بنى اسرائيل لظهور المخلص الموعود .

ويحدثنا القرآن عن الانجيل بأنه كتاب الهى أنزل على عيسى ونورا لبنى اسرائيل دعاهم فيه الى عبادة الله الواحد وبشرهم فيه بالرسول النبى الأمى وباقتراب زمن بعثه بشريعة جديدة تحمل الخير والسماحة والمعروف وتحل الطيبات وتحرم الخبائث وتضع عن الأناس أصرهم والاغلال التى تكبلهم .

« ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه » (١) .

« ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » (٢) .

الحواريون :

قال تعالى :

« واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد أننا مسلمون » (٣) .

---

(١) سورة الزخرف : آية ٦٣ .
(٢) سورة الصف : آية ٦ .
(٣) سورة المائدة : آية ١١١ .

والحواريون هم أنصار المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وخاصته الذين استجابوا له ولدعوته ، وقد واجه عيسى عليه السلام كغيره من الرسل والأنبياء مقاومة وعنادا من قومه تدعو الى الكفر به وبرسالته وبمرسله والى الانكار والجحود لآياته ومعجزاته ، آنئذ جار عيسى عليه السلام بدعوته وصحبته من أنصارى الى الله ومن نصيرى للتمسك بعقيدة الله ؟ فلباها تلاميذه وحواريوه الذين آمنوا به وتتلمذوا عليه وتعلموا منه وهم القلة وسط جحافل الشرك أعلنوها عالية مدوية : نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد يا عيسى بأننا مسلمون ٠

والحواريون هم الدعاة الذين أرسلهم المسيح عيسى بن مريم فى حياته للتبشير بديانته ، ولدعوة اليهود الى المسيحية الصافية الخالصة ٠ وهم بطرس (**سمعان**) وأخوه **اندراوس** وكانا صيادين ، **ويوحنا** وأخوه **يعقوب** ابنا زيدى وكانا صيادين أيضا ، وكان يوحنا هو الرسول القريب دائما من المسيح **ومتى** وكان موظفا بمكتب الجمارك أو جباية ضرائب المرور بكفرناحوم وكان يعرف اللغة الآرامية واليونانية الى جانب العبرية ، **اما مرقس فكان مساعد بطرس٠اى انه كان** شاهد عيان للرسالة السماوية التى قام بها عيسى عليه السلام ، **وفيليبس** ، **وبرثلماوس** ، **وتوما** ، **ويعقوب** بن حلفى ، **وتداوس سمعان** القانوى ، **ويهوذا** الاسخريوطى الذى خانه ٠

أخذ عيسى عليه السلام ينتقل فى مدن وقرى سوريا وشاطىء الجليل بالأردن يعلم فى مجامع اليهود وينادى ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وعلة بأمر من الله ٠ فشفى الأعمى والمشلول والابرص والمسكونين بالشياطين ٠ وقد دعا عيسى عليه السلام تلاميذه الاثنى عشر وأمرهم بان يذهبوا الى خراف بنى اسرائيل كرسل يدعون الى الخير وأوصاهم قائلا :

« لا تسلكوا طريقا الى الأمم ولا تدخلوا مدينة سامرية ، بل اذهبوا بالأحرى الى الخراف الضالة الى بيت اسرائيل ، وفيما انتم ذاهبون ، بشروا قائلين : لقد اقترب ملكوت السموات ، المرضى اشفوا ، والموتى اقيموا والبرص طهروا ، والشياطين اطردوا ، مجانا أخذتم فمجانا اعطوا، لاتحملوا فى أحزمتكم ذهبا ولا فضة ولا نحاسا ، ولا تأخذوا للطريق زادا ولا ثوبين ولا حذاءا ولاعصا،

فان العامل يستحق طعامه ، وكلما دخلتم مدينة أو قرية فابحثوا فيها عمن هو مستحق ، واقيموا هناك حتى ترحلوا وعندما تدخلون بيتا القوا السلام عليه، فاذا كان ذلك البيت مستحقا فعلا فليحل سلامكم عليه وان لم يكن مستحقا فليرجع سلامكم لكم ... » (١) .

الأناجيل الأربعة ومصادرها :

بعد أن غادر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الارض ورفعه الله الى جواره انقسم المسيحيون الى فريقين يمثلان اتجاهين مختلفين :

— الفريق الأول ويسمى بالمسيحية البولسية نسبة الى « بولس » .
— والفريق الثانى ويسمى باليهودية المسيحية .

ويرى الفريق الأول أنه يجب على المسيحية ان تتحرر من التقاليد اليهودية البالية مثل : الراحة يوم السبت كشىء مقدس واتخاذ المعابد كأماكن ومؤسسات دينية وحيدة حيث حاول مجمع القدس المسكونى عام ٤٩م وعلى رأسه بولس أن يحل الفريق الثانى من تطبيق الاركان اليهودية اذ يجب على المسيحية أن تتحرر من انتمائها السياسى والدينى الى اليهودية حتى تفتح ذراعيها لغير اليهود . ورفض كثير من اليهود والمسيحيين أى الفريق الثانى هذا التنازل ، وظلوا يهودا مخلصين وكانوا يمثلون غالبية الكنيسة حتى عام ٧٠م واعتبروا بولس خائن لتعاليم اليهود فعزلوه عن الكنيسة حتى ذلك التاريخ .

قال تعالى :

« انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » (٢).

وكان يرأس الفريق الثانى (اليهودية المسيحية) « جاك » وكان معه فى البداية بطرس ثم يوحنا تلاميذ المسيح وكانت أسرة المسيح تحتل مكانة كبيرة فى هذه الكنيسة بالقدس وظل جاك عمود اليهودية المسيحية ملتزما بخط اليهودية أمام المسيحية البوليسية ثم خلفه « سيميون » ابن عم المسيح .

---

(١) انجيل متى الاصحاح العاشر الآيات من ٥ — ١٣ .
(٢) سورة النحل : آية ١٢٤ .

وظلت اليهودية المسيحية سائدة فى القدس وفلسطين فقط طوال القرن الأول غير أنه يبدو أنها انتشرت فى كل مكان اذ يتضح من رسائل بولس عدو اليهودية المسيحية من وجهة نظرهم انه واجه عدة صراعات مع نفس الأعداء فى جهات متعدده فى غلاطية وكولوس فى آسيا الصغرى وروما وانطاكية ٠ وكورنثه على الساحل السورى ٠ ويرى الكاردينال « دانيلو » أن اول تبشير بالأناجيل فى افريقيا كان يهوديا مسيحيا - والى هذا الفريق يعزى أنجيل العبريين وكتابات كليمنت الاسكندرى ٠

غير أن الظروف السياسية قد غيرت مجرى الاتجاه الدينى وانقلب الموقف تماما بسبب حرب السبعين وسقوط القدس فحينئذ حاز بولس على النصر بعد وفاته اذ ساد الاتجاه المسيحى وتخلص من التقاليد اليهودية البالية ٠ ويرجع ذلك الى أن اليهود كانوا منبوذين فى الامبراطورية الرومانية وعندئذ نحا المسيحيون الى الانفصال عنهم فانفصلت المسيحية اجتماعيا وسياسيا عن اليهودية ورغم ذلك كانت اليهودية المسيحية سائدة ثقافيا حتى آخر عام ١٤٠ م ٠

وفى هذا الجو من الصراع بين الجماعات حررت الأناجيل وفى الفترة من ام ٧٠م حتى عام ١١٠م نتجت أناجيل مرقس ومتى ولوقا ويوحنا ٠ ومن قبل كتب بولس رسالته الى تسالونيكى عام ٥٠ م وتذكر مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد المنشورة عام ١٩٧٢ م (هى نتيجة عمل جماعى تضافر له أكثر من مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت) فى تعليقاتها « أنه لا توجد على أى حال أى شهادة تقول بوجود مجموعة من كتب الانجيل قبل عام ١٤٠ م » ٠

ويقول «كولمان» فى كتابه «العهد الجديد» عام ١٩٦٧ أن المبشرين الذين تحدثوا باسم الجماعة المسيحية الاولى لم ينقلوا سوى التراث الشفهى فقد فى الانجيل طيلة ثلاثين أو اربعين عاما فى شكله الشفهى فقط ، ينقل الآباء الى لأبناء أقوالا وروايات شفهية فى الأسرة ٠كما نسج المبشرون فى المعابد الكنسية هذه الروايات والأقوال من التراث السائد كل على طريقته وبحسب شخصيته الخاصة واهتماماته اللاهوتية الخاصة ٠ اذ ان احتياجات التبشير والتعليم

والممارسة للتعاليم الدينية هى التى دعت الجماعة المسيحية الاولى الى تثبيت هذا التراث عن حياة المسيح أكثر من اهتمامها بتسجيل وكتابة حياة المسيح ٠

كما يذكر المعلقون على الترجمة المسكونية للانجيل أن كتاب الأناجيل قد اعتمدوا على التراث الشفهى الذى حفظته الجماعات المسيحية الأولى بفضل التبشير الذى قام به تلامذة المسيح ومبشرين أخرين مع امكانية وجود كتابات مبكرة لبعض التعاليم وبعض أقوال المسيح وروايات آلامه٠وقد استعان كتاب الأناجيل الأربعة المعروفة متى ولوقا ويوحنا ومرقس بهذين المصدرين حتى يكتبوا نصوصا تتكيف مع مختلف الأوساط وتستجيب لاحتياجات الكنيسة والمجتمع المسكونى للفاتيكان ، وتمكن من الرد على حجج الخصوم ٠

بعض مظاهر الاختلاف بين الأناجيل المتداولة وبعض الانحرافات فيها عن الأنجيل الأصلى

قال تعالى :

« فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » (١) ٠

آراء مسيحية فى الأناجيل :

أنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا :

يحتل انجيل « متى » بين الأناجيل الأربعة المكانة الأولى فى نظام ترتيب أسفار العهد الجديد ، وهى مكانة لها ما يبررها ، فهذا الانجيل امتداد سهل القديم بشكل ما : فقد كتب ليثبت أن المسيح يكمل تاريخ اسرائيل ، ولكى يحقق « متى » هذا الغرض فانه يستشهد دائما بفقرات من العهد القديم تشير أن المسيح يتصرف كالمسيح الذى ينتظره اليهود ٠

يقول « كولمان » فى كتابه « العهد الجديد » عام ١٩٦٧ :

« ان المبشرين لم يكونوا الا محدثين باسم الجماعة المسيحية الاولى التى

---

(١) سورة مريم : آية ٥٩ ٠

ثبتت التراث الشفهى اذ بقىانجيل عيسى طيلة ثلاثين أو أربعين سنة فىشكله الشفهى فقط أو بالكاد ، ولكن التراث الشفهى قد نقل أساسا أقوالا وروايات مختلفة ، وقد نسج المبشرون كل على طريقته وبحسب شخصيته الخاصة واهتماماته اللاهوتية الخاصة ، الروابط بين هذه الروايات والاقوال التى تلقوها من التراث السائد » ٠

فالأناجيل الأربعة أنجيل متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا كما ذكر هذا الكاتب سالف الذكر تشكل تراث شفهى ، بتأثير تبشير تلاميذ المسيح من الحواريين ومبشرين آخرين ، وقد تمكن المبشرون فى فترة مبكرة من تجسيد بعض تعاليم المسيح وبعض أقواله وروايا تآلامه والطقوس التى مارسها المؤمنون بالمسيح فى شكل مكتوب ، ثم استعان المبشرون امثال متى ولوقا ، ومرقس ، ويوحنا بهذه الأشكال المكتوبة المتنوعة الى جانب استعانتهم بمعطيات التراث الشفهى فى كتابة نصوص الكتاب المقدس ولكنها كتبت فى اناجيلهم بطريقة تتكيف مع مختلف الاوساط الدينية والسياسية وتستجيب لاحتياجات الكنائس وترد بهذه المناسبة على حجج الخصوم ٠ وبهذا الشكل قام المبشرون الحواريون بتجميع وتدوين الكتاب المقدس (الأنجيل) كل بحسب وجهة نظره وحسب ما اعطتهم اياه الاقوال المتوارثة الشفهية ٠

واذا نظر القارىء فى اناجيل متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا يجد أنها تعبير عن وجهات النظر الخاصة بجامعى التراث الشفهى المنتمى الى جماعات ومذاهب مختلفة ، واذا علمنا أنها كتبت فى ظروف سياسية خاصة أو للرد على الخصوم لأسباب تتعلق بالتنافس الدينى بين جماعة وأخرى فانه ليس من المستغرب أن تجد بعض الاخطاء أو الاختلاف أو التحريف أو التبديل لكلمات الله فى مثل هذه الظروف التى مرت بها كتابة الاناجيل ٠

وانجيل « مرقس » أقصر الأناجيل الأربعة وهو أيضا أقدمها ولكنه ليس كتاب أحد الحواريين بل حرره تلميذ أحد الحواريين ٠ فقد كان مرقس تلميذ بطرس أحد الحواريين الاثنى عشر ، وقد تحرر أنجيل مرقس بعد وفاة بطرس أى فى حوالى عام ٧٠ م حسب الترجمة المسكونية ٠

وكما يقول الأب روجيه فان مرقس كاتب غير حاذق وأكثر المبشرين ابتذالا فى كتابه فهو لا يعرف أبدا كيف يحرر حكاية ٠

كما أن أنجيل مرقس يتناقض مع أنجيلى متى ولوقا فيما يخص بعض الوحدات مثل حادثة يونس (يونان) والحوت ، كما أن مرقس قد حرر هذا الأنجيل دون اهتمام بالتعاقب الزمنى للاحداث الذى أخذ فى الاعتبار فى أنجيل متى ٠

أما انجيل لوقا فقد كتب بعد أنجيل متى ومرقس - وقد ذكر هذا فى مقدمته وفى ديباجته الموجهة الى « تاوفيلس » بقوله : « بعد الآخرين الذين أنشئوا قصصا عن المسيح سينشىء بدوره حكاية عن نفس الأحداث مستخدما هذه القصص ومعلومات الشهود العيان ، وهذا يعنى أنه ليس واحدا منهم ولم يكن حواريا ٠ ويحدد النقاد الحاليون تاريخ تحرير أنجيل لوقا فيما بين عام ٨٠ - ٩٠ م ٠

ويرى « كولان » ان انجيل لوقا عمل ادبى لايجادل كتب بلغة يونانية كلاسيكية راقية تخلو من حواشى الكلام ٠ فقد كان « لوقا » أديبا وثنيا آمن بالمسيحية وكان يكره اليهود ولذا حذف من روايته اكثر الآيات اليهودية عنو « مرقس » وابرز كلمات المسيح فى مواجهة كفر اليهود وذكر علاقة المسيح الطيبة مع « السامريين » الذين يمقتهم اليهود (كان اليهود فى عصر ميلاد المسيح فريقين : فريق يترقب ظهور المسيح رسول من ذرية داوود عليه السلام ، وفريق ينتظر الخلاص على يد رسول من ذرية يعقوب وهم السامريون الذين يدعون انهم الجديرون دون غيرهم باسم الاسرائيلين على حين أن أنجيل متى يذكر أن المسيح طلب الى حواريه أن يتجنبوا السامريين) ٠

والروايات الخاصة بطفولة المسيح فى انجيل لوقا تختلف عما ذكره أنجيل متى بينما انجيل مرقس لا يذكر كلمة عنها كما أن رسالة المسيح مسرودة بشكل مختلف وفى نقاط كثيرة فى هذه الأناجيل الثلاثة ، كما أن ما كتب عن سر القربان المقدس وهو حدث ذو أهمية رئيسية بالنسبة للمسيحيين يخضع لتنوعات كثيرة فى كتب الأناجيل ، كما أن لوقا يحدد فى أنجيله تاريخ صعود المسيح بيوم الفصح ويحدده بعد ذلك فى كتابه « اعمال الرسل » (الذى يعتبر جزء متمم للعهد الجديد) بعد يوم الفصح بأربعين يوما ٠

انجيـــل يوحنـــا :

جاء فى دائرة المعارف البريطانية — التى أشرف على تحرير المسـائل المسيحية فيها خمسمائة من علماء النصارى : « أما انجيل يوحنا فانه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض ، وهما القديسان يوحنا ومتى ، وقد أدعى هـذا الكاتب المزور فى متن الكتاب انه هو الحوارى الذى يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة الجملة على علاتهـا ، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ، ووضعت اسمه على الكتاب نصـا مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا ، ولا يخرج هـذا الكتاب عن كونه مثلا لبعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت اليه ، وانا لنرأف ونشـفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ، ولو بأوهى رابطـة ، ذلك الرجل الفلسفى الذى ألف هـذا الكتاب فى الجيل الثانى بالحوارى يوحنا الصـياد الجليل ، فان اعمالهم تكيع عليهم سدى . لتخبطهم على غير هدى ».

وفى دائرة المعارف الفرنسية المعروفة باسم « لاروس القرن العشرين » قالت : « أنه ينسب ليوحنا هذا الانجيل وثلاثة أسفار اخرى من العهـد الجديد ، ولكن البحوث الحديثة فى مسـائل الأديان لا تسـلم بصحة هـذه النسبة » .

ويقول أرنست رنان فى كتابه « تاريخ المسيح » « وفى الحقيقة أننا مهما فتشنا الأنجيل فاننا لا نجد فيه تقرير عقيدة لاهوتية ، وكل ما فيـه من المعتقدات مقتبس من أفكار يسوع ومؤول تأويلا ، فكان شأن يسـوع مع تلاميذه كشأن أرسطو مع علماء « السكولاستيك » ، فان هؤلاء باعـلانهم ان أرسطو هو المعلم الوحيد ، وان العلم الذى وضعه علم كامل لا ينقصه شىء قد ناقضوا فكر أرسطو نفسه ، ولو شـهد أرسطو مجادلاتهم وسمع قولهم هذا لنبذ التعليم الضيق ، وكان فى جانب خصومهم ، أى فى جانب العلم التدريجى الذى ينكر التقليد الأعمى ، بل انه كان يصفق استحسانا لاقوال معارضـيه ومجادليه متى رآهم قد اصابوا . وهكذا يسوع فانه لو عاد الينا اليـوم فانه لا يعتبر من تلاميذته أولئك الذين يرومون حبس فكره فى عبارات يسطرونها فى كتاب ، بل أولئكالذين يحذون حذوه ويكملون فعله فىعالمى : الروح والفكر»

ثم يقول : « وأن كتبة الانجيل أنفسهم الذين رسموا لنا صورة يسوع كانوا دون صاحب الترجمة بمراحل حتى أنهم لعدم وصولهم الى علوه كانوا كثيرا ما يحسنون التعبير عن أفكاره ، ففي كتاباتهم كثير من الاخطاء والتناقضات ، وفي كل سطر منها يشعر القارىء بأن هناك جمالا الهيا ، ولكن الكاتب لا يحسن ترجمته وابرازه ، لأنه لا يفهمه ، ولذلك يبدله بفكره الخاص • وجملة الكلام : أن تلامذة يسوع قد أضعفوا جمال صورته بدل أن يزيدوها زينة وكثيرا ما راموا هذه الزينة فتحولت بين أيديهم ضعفا » •

« وتولستوى » ينكر أن تكون كتب النصارى كتبت بالهام ويعلن فى جرأة أنها حرفت وعراها التغيير والتبديل ، فيقول فى صراحة المستمسك بالعروة الوثقى : « أن المسيحيين واليهود والمسلمين يعتقدون جميعهم بالوحى الالهى ، فالمسلمون يعتقدون بنبوة موسى وعيسى ، ولكنهم يعتقدون كما اعتقد بأنه دخل التحريف والتشويه على كتب الديانة النصرانية ، وهم يعتقدون بان محمدا خاتم الأنبياء ، وأنه قد أوضح فى قرآنه تعاليم موسى وعيسى الحقيقية ، كما قالها دون زيادة ولا نقص ، وأن كل مسلم أمامه القرآن يقرؤه ويتمسك به ويسير بموجب أحكامه ولا يعترف بغيره من الكتب مهما اشتهر واضعوها بالتقوى والصلاح ، ويسمى المسلمون ديانتهم المحمدية • بخلاف الكنيسة المسيحية التى تسير الآن بموجب تأليف الآباء الذين يدعون بأن ما كتبوه هو من روح القدس ، فكان أحرى بالمسيحيين أن يسموا كنيستهم بالروحية القدسية أولى من تسميتها بالمسيحية » •

« الأناجيل الحالية غير صحيحة » :

اعاد ـ « الفونس ايتين دينيه » ـ قراءة الاناجيل من جديد محاولا جهده أن يراها تتسم بسمة الحق : فيؤمن بابن الله وبالكاثوليكية ولكن رأى فيها ما يتنافى مع الصورة المثلى للانسان الكامل فضلا عن الصورة التى تريد المسيحية أن توحى بها ، فمن أقوال المسيح التى فيها حطة واحتقار لأمه العذراء ما صدر عنه فى عرس « قانا » « وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل ، وكانت أم يسوع هناك ، ودعا أيضا يسوع تلاميذه الى العرس ، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ، ليست لهم

خمر ، قال يسوع مالى ومالك يالمرأة » (انجيل يوحنا الاصحاح الثانى عشر)

ومن أقواله التى تحمل فى طياتها اللعنة على شجرة تين لم تحمل ثمرها ، لانه لم يكن موسم تين : « فنظر شجرة تين من بعيد ، عليها ورق، وجاء لعله يجد فيها شيئا فلما جاء اليها لم يجد شيئا الا ورقا ، لانه لم يكن وقت التين ، فاجاب يسوع وقال لها : لا يأكل أحد منك ثمرا بعد الى الابد · وكان تلاميذه يسمعون (انجيل مرقص : الاصحاح الحادى عشر) ·

كذلك من أقواله الدالة على كره الغريب : « واذا امراة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه قائلة : ارحمنى يا سيد يا ابن داود ابنتى مجنونة جدا ، فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا اليه قائلين : اصرفها ، لانها تصيح وراءنا فاجاب قائلا : لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة (أنجيل متى ، الاصحاح الخامس عشر) ·

ومن أقواله التى توجب كراهية الأقرباء : « إن كان أحد يأتى الى ولا يبغض اباه وأمه وامراته واولاده واخوته وأخواته ، حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لى تلميذا » (أنجيل لوقا : ١٤) ·

ومن أقواله التى فيها اعتراف بالجهل بالغيب: « ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن الا الاب » (أنجيل مرقص الاصحاح الثالث عشر) ·

هذه النصوص تبعث فى النفس الشك فى صحة الاناجيل التى بين أيدينا، وأدى ذلك الى البحث فى صحة الاناجيل وفى قيمتها من الناحية التاريخية ، وكانت نتيجة بحثه أنه لا شك أن الله قد أوحى الأنجيل الى عيسى بلغته لغة قومه ، ولا شك أيضا أن هذا الانجيل قد ضاع واندثر ولم يبق له أثر، أوأنه باد ، أو أنه قد أبيد » ·